مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 02، جوان 2022، صص: 525 - 538
تاريخ الاستلام(2021/11/10) تاريخ القبول(2022/03/17) تاريخ النشر(2022/06/30)

الاتّساق النّصي و أثره في التّواصل اللّغوي في التّعليم

Text Consistency and its Impact on Linguistic Communication in the Secondary Education

لعيساوي عبد القادر[1]، عابد بوهادي[2]

[1] جامعة تيارت(الجزائر)، aek.laissaoui@univ-dbkm.dz

2جامعة تيارت (الجزائر)، elhadj_abed@hotmail.fr

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن فاعلية الاتّساق النّصي، ودوره في تحسين مهارات التّواصل اللّغوي، إذ أضحى التّماسك واحدًا من المعايير الاستراتيجيّة المعتمدة في اختيار النّصوص لتعلّم اللّغة العربية تعلّما صحيحا، بما تلعبه مختلف الرّوابط من دور في تلاحم النّص، واكتشاف بنيته السّطحيّة والعميقة، ومحاورة النّصوص محاورة موضوعيّة نحويّا ودلاليّا وتداوليّا، والكشف عن معايير تماسكها، ومظاهر اتّساقها وانسجامها. وأضحى الانشغال بعلم التّدريس يندرج ضمن التّوجّهات التّربوية الحديثة، إذ أصبحت المباحث النّصية زُبدة ما توصّل إليه الدّرس اللّغوي الحديث، ممّا يعني أنّ الوقوف عليها سيكون استثمارا لجهود العلماء بُغية الانتفاع منها في التّنظير والتّطبيق، وخاصّة في التّعليم، وأصبحت الحاجة ماسّة إلى إكساب المتعلّم كفاءة تخاطبية /تواصلية، واستخدام اللّغة في سياقاتها الفعلية، وهو ما تهدف إليه لسانيات النّص وتحليل الخطاب.

الكلمات المفتاحية: الاتّساق، النّصّ، التّواصل، اللّغة، التّعليم الثّانوي

Summary

The focus of this article is to demonstrate the importance of textual consistency and its role in enhancing language skills. Even at the level of the deep structure, the dialogue between the texts is an objective dialogue in terms of grammatical, semantic, and pragmatic cohesion, as well as the exposure of norms of cohesion and manifestations of

المؤلف المرسل: لعيساوي عبد القادر، الإيميل: l. aek.laissaoui@univ-dbkm.dz

consistency and coherence. When it comes to modern educational trends, textual investigations have become an essential part of what modern linguistic lessons have reached, which necessitates the investment of scholars' efforts in theory and application to benefit from it, especially in education, where a need has become an urgent learning requirement. The linguistics of text and discourse analysis are both concerned with the use of language in its actual contexts through the use of linguistic and non-linguistic signs.

Keywords: consistency, text, communication, language, secondary education

1. مقدمة:

لم يعد يخفى على أحد له علاقة بالدّرس اللّساني الحديث، ما شهدته بداية النّصف الثّاني من القرن العشرين من تحوّلات في معالجة الظّاهرة اللّغوية تحليلا وتأويلا، وفهما وإفهاما، منذ بدأ التّوجه إلى تحليل الخطاب، على يد العالم الأمريكي "هاريس Harris"بعدما نشر بحثا بعنوان " تحليل الخطاب Discourse Analysis" عام 1952م[1]، مُستخدما الوصف للوقوف على البنية الكلّية للنّص، وأثرها في التّكامل الدّلالي، من خلال ربط العلاقات النّصية مع بعضها، وربط اللّغة بسياقها الاجتماعي، ليصير النّص منظومة متكاملة، ومرجعية أساسية في إجلاء المعنى، ونموذجا أرقى تتمثّل فيه أيّ دراسة لغويّة، إذ كانت الممارسة النّصية قبل ظهور علم اللّغة النّصي، تتناول النّصوص من أجل فهمها، أو تدعيم الرّصيد اللّغوي للتّلميذ بمفرداتها، أو اعتبار النّصوص خزّانا لصيغ وتراكيب بالإمكان حفظها، وهذه العمليات تنحصر على مستوى الجملة، قبل أن تجعل من درس النّصوص فضاءً مفتوحا لتلقي المادة المعرفية، الأمر الذي جعل النّص يحظى بأولوية قصوى ضمن مكونات منهاج اللّغة العربية.

و لم تعد دراسة الظّاهرة اللّغوية منحصرة في معرفة الأصوات والتّراكيب، بل انفتحت على أنساق معرفية مختلفة، تتقاطع مع العلوم الإنسانية والاجتماعية في أغلب فروع المعرفة كاللّسانيات الاجتماعية واللّسانيات النّفسية، والإعلامية والحاسوبية، والقانونية والتّربوية، وأصبحت اللّسانيات جسراً تعبره كلّ العلوم في محاولة لتحصين مواقعها ونتائجها، على حدّ تعبير الأنتروبولوجي الفرنسي" كلود ليفي ستراوس claudelifistraus".

لهذه العوامل نتساءل في هذا المقال عن النّصوص الموضوعة لتنمية مهارات التّواصل، وإذا ما كانت مضامين هذه النّصوص تتوافق مع مستوى المتعلمين؟ وهل تتلاءم مع خصائصهم الفكرية والنّفسية في كلّ مرحلة من مراحل تعليمهم ؟ وكيف يمكن الاستناد إلى معايير نحو النّص في تنمية مهارات التّواصل اللّغوي في التّعليم الثّانوي؟

وانطلاقا من هذه المشكلة، ارتأيت أن يكون هذا المقال بعنوان" **الاتّساق النّصّي و أثره في التّواصل اللّغوي في التّعليم الثّانوي"**

والاتّساق من أهم معايير النّصية عند" دي بوجراند، Beagrand"يندرج تحت مباحث علم اللّغة النّصّي أو لسانيات النّص[2]، ويحتل موقعا مركزيا في الأبحاث والدّراسات المعاصرة، وذلك بتوظيفه الآليات النّحوية والرّوابط اللّغوية بين أجزاء النّص، ولقي الاتّساق النّصي اهتماما منقطع النّظير عند المحدّثين، حتّى عدّه بعضُهم كلّ شيء في التّحليل النّصّي، كما نجده قد نال اهتمام الكثير من العلماء والباحثين في الدّراسات العربية عموما، لأنّ النّص عند العرب القدامى ارتبط بالرّسالة الدّينية، فعرفوا النّص وأدركوا دوره من خلال أكبر ممارسة نصية عرفوها وهي القرآن الكريم، ومن بعده الحديث الشّريف، ثم امتدّ ليشمل الأدب كضرب من ضروب الإبداع، فلم تكن القضايا النّصية غائبة في الدّرس اللغوي العربي القديم، وبالأخصّ دراسات علوم القرآن، ولم يكن علماء العربية في غفلة عن هذا المنحى من الدّراسة، وإن لم يفردوا فيه تصانيف خاصّة تجمع شتات مسائله وتضبط أبوابه وقواعده في مؤلفاتهم، لذا نجد الكثير من مباحث لسانيات النّص مفرقة في ثنايا الكتب المؤلفة في شتى العلوم المتعلقة بدراسة النّصوص اللغوية، خاصّة ما تعلق منها بدراسة القرآن الكريم، وكتب التّفسير والبلاغة والنّقد[3]، وذلك لاشتمالها على بعض المصطلحات النّصية من مثل: التّماسك، والحبك، والسّبك، والاتّساق، والتّضام، والتّلاؤم. إلى غير ذلك من المباحث النّصّية.

فالاتّساق النّصي موضوع أساس في اللّسانيات الحديثة، التي توجّب عليها تبني فرضية التّوسع، واتخاذ النّص ممثلا شرعيا للّغة، لأنّه بنية منتظمة متّسقة ومنسجمة، تحتكم إلى علاقات معينة في متوالياتها، تجعل النّص قابلا للقراءة والفهم والتّأويل، وركزت أنظارها على التّواصل اللّغوي وكيفيته وشروطه، وذلك بتسليط الضّوء على القضايا التي لها علاقة وثيقة ببناء النّص، مثل الاتّساق والانسجام و«دراسة العمليات التي يتمّ بواسطتها توظيف اللّغة كأداة من أدوات التّواصل. » [(4)]

1. الاتّساق:(Cohésion):

1.1.الحقيقة اللغوية:

الاتّساق لغة من الوسق، أي ضم الشّيء إلى الشّيء... فكّل ما انضم قد اتّسق، جاء في لسان العرب الجذر (وسق): « يقال: وَسَقَت النخلةُ إذا حملت، فإذا كثُر حملها قيل أَوْسَقَتْ أَي حملت وَسقا، وفي التّنزيل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق،16،17،18]، قال الفرّاء: وما وسَقَ أَي وما جمع وضمّ. واتَّساقُ القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأَربع عشرة إلى ستّ عشرة فيهن امتلاؤه واتِّسَاقه»[(5)] ، ويقول ابن فارس في مادة (وسق)، «هي كلمة تدلّ على حمل الشّيء، وسقت العين الماء حملته. »[6]

وجاء في المعجم الوسيط: وسق الشيء: ضمّه وجمعه، وسق الحبّ جعله وسقا، اتّسق القمر: استوى وامتلأ.[7]

فالملاحظ أن المعنى الذي يتكرّر حول الجذر (وسق)، هو الاجتماع والانتظام والاكتمال، فمفهوم الاتّساق يعني ترابط الجمل في النّص مع بعضها بعضا بوسائل لغوية معينة، «وهذا التّرابط يهتم بالرّوابط التي تجري في سطح النّص أكثر من اهتمامه بالشّكل الدّلالي أو المعنوي للنّص»[8] فكّل ما جاء في المعاجم اللّغوية أنّ الاتّساق هو الضّمّ والانتظام والاجتماع والاستواء الحسن.

2.1. الحقيقة الاصطلاحية:

لقد لقي الاتّساق النّصي اهتماما كبيرا من لدن علماء النّصّ، وعدّه بعضهم من الكلمات المفاتيح في إبراز النّصيّة، بل هو أكثر من ذلك لأنّه ما من نظام وظيفي يتأسس في الحياة، إلا ويكون الاتّساق والانسجام عصبيه المحركين، فلا يمكن للحياة أن تنتظم دونهما، ففي الأدب يُعنى ببنية النّص اللّغوية السّطحية، « ويتحقّق عبر وسائل تجعل من النّص كلاًّ متكاملا، وتُجمَع هذه الوسائل في مصطلح واحد هو الاعتماد النّحوي.»[9] ويُهتم فيه بالوسائل اللّسانية الشّكلية التّي تصل بين العناصر المكوّنة للنّص، أما المعطيات غير اللّسانية (مقامية وتداولية) فلا دخل له فيها.

فأضحى الاتّساق قدرا على كل نصّ، لاسيما وأنّ العلماء يحتفون بهذا المكون البارز في لغة التّواصل والإبداع، يظهر ذلك من خلال التّعريفات التي حدت الاتّساق فقد رآه محمد خطابي على أنّه: « ذلك التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكّلة لنّص / خطاب ما، يُهتم فيه بالوسائل اللّسانية (الشّكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته. »[10]

بينما عدّه محمد الشّاوش: « مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللّغة لجعل أجزاء النّص متماسكا بعضها بعضا. »[11] حيث أن الوحدة الدّلالية للنّص تأتي من الاتّساق الموجود بين الجمل، فتحتوي كلّ جملة على رابط اتّساقي بالجملة التي تسبقها في النّص من جهة، وآخر في الجملة التي تلحقها من جهة أخرى.

ويعرفه "ديفيد كريستال David Crystal" بأنه: « الاتّصالات المنطقية المقدرة للاستعمال اللّغوي، ولن يتسنى ذلك إذا لم تدرس بناء النّص وتركيبه والعوامل التي ساهمت في البناء، والتي يُطلق عليها الرّوابط والعلائق داخل النّصوص. »[12]، فالاتّساق لا يركز على معنى النّص بقدر ما يركز على كيفية تركيب النّص باعتباره صرحا دلاليا.

ويترجمه سعد مصلوح: بمصطلح " السّبك"، « بالوسائل التي تتحقق بها خاصيّة الاستمرارية في ظاهر النّص ... أي الأحداث التي ننطق بها ونسمعها في تعاقبها الزّمني، والتّي نخطّها أو نراها بما هي كمّ متّصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النّحوية، ويتحقّق في شبكة هرمية ومتداخلة. »[13] ولكنّ الاتّساق لا يكفي وحده لإثبات النّصية،

والقدرة على فهم ما نقرأ،فمن السّهل أن ننشئ نصّا محكّما به كثير من روابط الجمل، ولكن يصعب معها تفسير النّص.[14] الأمر الذي يعني أن هناك عامل آخر يتكفل بربط المعاني التي يحتويها النّص، ألا وهو "الانسجام Cohérence " الذي يعتبره "دي بوجراند" مجموع الإجراءات التي تؤدي إلى ترابط الأفكار ترابطا منطقيا مبنيا على ترتيب الأحداث والمناسبات، وكذلك على الخبرة وما يتوقعه النّاس، إنّه مفهوم نسعى من خلاله إلى تقريب ماهية الموضوع (موضوع النّص)، أين تكون وضعية القراءة طبيعية لكلّ من القارئ والمستمع بالاعتماد على معرفة وتجربة المتحدّثين والسّياق المحيط بهم، فالنّاس هم الذّين يحدّدون ما يقرؤون وما يسمعون، فهم يحاولون الوصول إلى تفسير ينسجم مع خبرتهم بالكون.[15]

2.المقاربة النّصية بالتعليم الثانّوي:

يسعى منهاج اللّغة العربية وآدابها في التّعليم الثّانوي في الشُّعب الأدبية والعلمية،إلى تعميق معارف المتعلّم في النّصوص الشّعرية والنّثرية ذات الأجناس الأدبية المختلفة، حيث تتأطر تعليميّة اللّغة العربية بالتّعليم الثّانوي ضمن فلسفة تربوية حديثة تستند إلى بيداغوجيا التّعلم والمقاربة النّصية،التي تحرص على ما هو أنفع وأكثر فائدة للمتعلّم في بناء شخصيته انطلاقا من ذاته واستثمار تلك المكتسبات في وضعيات جديدة في مختلف المواد الدّراسية، بل إلى ما له علاقة بالحياة، إنّ اعتماد مدخل المقاربة النّصية في صياغة منهاج اللّغة العربية بالمرحلة الثّانوية يترجّم « تحوّلا من الاهتمام بنقل المعارف الجاهزة للمتعلم، إلى الاهتمام بتمهيره في بناء المعرفة بنفسه، وقدرته على استثمار مكتسباته في وضعيات وسياقات جديدة.»[16]

فبعد الانتقادات التي وُجهت إلى لسانيات الجملة، والكشف عن نقاط عجزها في مهارات التّواصل اللّغوي الإنساني، تغيّرت الوجهة إلى النّصوص والخطابات، بحيث « تجاوزت الدّراسات اللّسانية النّصية حدود البنية اللغوية الصّغرى "الجملة" إلى بنية لغوية أكبر منها في التّحليل هي "النّص" حيث أصبح النّص يمثل مفهوما مركزيا في الدّراسات اللّسانية المعاصرة، التي تتفق حول ضرورة مجاوزة الجملة في التّحليل البلاغي إلى فضاء أرحب وأوسع بل وأخصب في محاورة العمل الفني ألا وهو الفضاء النّصي.»[17]

وانشغلت لسانيات النّص بكلّ أنواع النّصوص منطوقة كانت أو مكتوبة، بدءً من الحكي والإعلانات، والخطب الدّينية والمقالات السّياسية والتّشريعية والتّربوية، وانتهاء بأرقى النّصوص العلمية وأعقدها، وأصبح للسانيات النّص شأن في تعليم اللغات، والمقارنة بينها، وحتى تعليم التّرجمة، من حيث هي ممارسة نصية، فهي- أي لسانيات النص- تمدّ المتمدرس بأدوات تحليل النّصوص والكشف عن أدوات تماسكها وتجانسها، والبحث عن آليات تحرير نوع معين من أنواع النّصوص (سردي، وصفي، حجاجي...)، إنّها وسيلة فعالة وأداة تعليميّة ضروريّة لتّعليم وتعلّم

النّاشئة. يقول أحمد سعدي: « إنّ اعتماد المقاربة النّصية كمنهج تربوي تعليمي... لاترى في النّص هدفا في حدّ ذاته، وإنّما هو أرضية وقاعدة للعمل اللّغوي بمختلف أشكاله.»[18] ويُنظر إلى النّص الأدبي - من حيث المقاربة النّصية- بأن له أبعادا تربوية لدى التّلاميذ، منها ما يتعلق بالجانب الوجداني، ومنها ما ينمي القدرات العقلية، هذا فضلا عن اكتساب الكفاءات اللغوية وتوسيع آفاق المعرفة والثقافة. « كإحكام النّطق، والخطّ، والفهم، والإتقان، والتّمرن، والتّداول باللّغة كتابة، وقراءة واستماعا، وتحاورا، ونطقا، وصوتا، ومعجما، وصرفا، ونحوا، ودلالة وأسلوبا، بحيث إذا أتقن الممارس للّغة هذه المستويات بنية، وتركيبا، ودلالة، وأسلوبا على جهة الإحكام يُسمّى ماهرا باللّغة»[19]

3. النّص الأدبي بالتّعليم الثّانوي:

تعدّدت مفاهيم النّص في اللّغة العربية من الإظهار إلى الرّفع، إلى التّحريك، إلى بلوغ الشيء أقصاه ومنتها [20] وتنوّعت تعريفاته بتنوّع التّخصّصات العلمية، وبتنوّع الاتّجاهات الفكرية وبناءً على ما جاء في التّعليم الحديث، فإنّ النّص الأدبي وحدة متكاملة من الآليات اللّغوية المنسجمة في جميع مستويات اللّغة، في جانب الصّوت والصّرف والنّحو والأسلوب، ليحظى بالتّلقي لما يكتنفه من أسرار تستدعي الوقوف والتّأني لفهمها، فالنّص في هذا الاعتماد البيداغوجي الجديد؛ يشكّل محور العملية التّعليمية التّعلمية، فهو المنطلق في التّدريس، وهو الأساس في تحقيق الكفاءات، لأنّ النّص هو البُنية الكبرى التّي تظهر فيها بوضوح كلّ المستويات اللّغوية (صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، معجمية).

وأوّل ما يريد المتعلّم أن يعرفه عن هذا النّص هو بناؤه، ومعرفة فقراته أو موضوعاته، وكيف ترتبت هذه الفصول؟ وكيف كان أوّلها مهادا لثانيها؟ ثمّ تتابعت في اتّساق وبناء محكم، ومعرفة المعاني الجزئية الدّاخلة في تكوين المعنى العام للنّص، وكلّ هذا يقتضي وقوفا طويلا عند كلّ كلمة، وعند كلّ صورة، ومن هنا أصبح مفروضا على الباحث التّربوي استحضار الدّرس اللّساني واستثماره في تدريس اللّغات، خاصّة اللّغة العربية، وهذا ما يوضّحه د. محمد الأوراغي قائلا: «بمدّ الجسور بين علوم اللّسان وعلوم التّربية ينشأ حقل اللّسانيات التّربوية المتعدّد التّخصّصات.»[21]، فالغاية التّعليميّة التّي تروم اللّسانيات النّصية إلى تحقيقها، هي إرساء قواعد جديدة للتّحليل النّصّي، للكشف عن وظائف النّص الدّلالية والتّداولية.

والقصيدة الشّعرية التي نحن بصدد تحليلها، عنوانها "زحف عربي ظافر" للشّاعر العباسي "أبي تمام الطّائي" وهي قصيدة من ديوانه الشّعري الحافل، وكان سبب إنشاء هذه القصيدة، انتصار المسلمين على الروم في وقعة "عموريّة " بالحدود الشّمالية للدولة العباسية في آسيا الصّغرى، وكان ذلك أيام خلافة المعتصم.

فأبو تمام الطائي هو حبيب بن أوس الطائي ، وقد اُختُلف في سنة مولده، فقيل إنّه وُلد في عام(172ه)، وقيل أكثر من ذلك حتّى (190ه)، وكان ذلك بدمشق، في قرية تُدعى (جاسم)، وكانت ثقافته عربية أصيلة، يتّضح ذلك من خلال شعره، فذاع صيته وصارت قصائده تسبقه في البلاد، فلمّا تولّى المعتصم الخلافة، قدم عليه أبو تمام إلى بغداد بحلول عام(219ه).[22]

فعنوان القصيدة الذي ذكرناه سالفا وُضع لغرض تعليمي، ولا أعتقد أنّه من وضع الشّاعر، لأنّ الشّعراء القدامى يستهلون قصائدهم ببيت مُصرّع يُسمّى مطلع القصيدة تُعرف به منذ نشأتها، إلاّ أنّ المناهج الحديثة والمعاصرة أولت أهمية كبيرة لعنوان النّص، باعتباره أوّل مكوّن يَلِجُ عن طريقه المتلقي إلى عالم النّص، ويثير فيه الرّغبة والفضول العلمي والمعرفي، كما أولت سيميائيات النّص أهمية كبيرة لتحليل العنوان من مختلف النّواحي التّركيبية والدّلالية والتّداولية[23]، نظرا لما يقدمه من سلطة على النّص، في التّعبير عن الإيحاءات والإيماءات الدّلالية الخاصّة بمتن القصيدة، ومن ثم فإنّ أهميته نابعة من اعتباره مفتاحا في التّعامل مع النّص في بعديه الدّلالي والرّمزي.[24]

و القصيدة - قيد التّحليل- من أشهر قصائد أبي تمام في المديح، وقد وقع اختياري على هذا الخطاب الشّعري، لأنّ "الشّعر العباسي" من الخطابات الشّعرية الأكثر تميّزا في الأدب العربي، والتي مازالت تحتاج إلى البحث والتّقصّي، لما تتوفر عليه من الأخيلة والمعاني والفكر، كما في قصيدة أبي تمام، التي استهلها ببيت من الحكمة، هو بمثابة حُكم أصدره الشّاعر، ثم بنى عليه قصيدته، فالنّص كلّه إثبات لصحّة هذا الحُكم، وبذلك استطاع الشّاعر أن يفتح باب المقاربة الحجاجية، باستعماله آليات الاتّساق والانسجام في بناء النّص، باعتباره لُحمة واحدة، من خلال جعل وحداته اللّغوية والفكرية خادمة لهدف النّص.

السَّيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتب في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللّعب [25]

لم يتوقف الشّاعر عند الدّلالة المعجمية للفظة "السّيف" التّي افتتح بها قصيدته، بل كان السّيف رمزا إلى معاني القوة والواقعية، التي أثبت من خلالها بُطلان مزاعم المنجمين، التي تهاوت أمام قوة السّيف وسطوته في هذه الملحمة الحاسمة في التّاريخ الإسلامي، موظّفا صيغة التّفضيل "أَصدقُ" وهي من الوسائل اللّغوية المساعدة على إيجاد العلاقة بين الأشياء، والمفاضلة بينها، فالمفاضلة القائمة بين "السّيف" الموصوف بالجدّ، و"كُتُبُ المنجمين" الموصوفة باللّعب، رجحت العقل على الخرافة، واعتبار المقارنة توطئة لتكذيب المنجمين، واعتبار عظمة الفتح دليل على بطلان مزاعم المكذبين، فالاعتراض على الحجّة بما يُبطلها مطلب تعليمي، يفتح للتّلميذ آفاق البحث المتواصل عن المعرفة واكتسابها، مع روح النّقد البناء.

بيضُ الصَّفائح لا سودُ الصّحائف في متونهـــــــنّ جــلاءُ الشَّك والرّيب

والعلمُ في شُهُب الأرماح لامعـــــــة بين الخَميسين لا في السَّبعة الشُّهُب
أين الرّوايةُ؟ بل أين النُّجُومُ؟ ومــــا صــــاغوه فيها من زُخرُف ومن كذب

استطاع الشّاعر أن يقيم جسرا ليعبر عليه من فكرة إلى فكرة باستعماله حسن الخروج أو كما يسميه القدامى"حسن التّخلص" وهو انتقال الشّاعر من فن إلى فن، دون أن يشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأوّل، إلّا وقد وقع في الثّاني لشّدة الممازجة والملاءمة بينهما حتّى كأنّهما أُفرغا في قالب واحد، وهو ما يوحي إلى التّسلسل المنطقي في بناء الأفكار، وهذا ليس غريبا على شاعر مثل أبي تمام، الذي كان مثقف عصره، عارفا بالشّعر، محيطا بشعر من سبقه من الشعراء.

تخرّصًا وأحـــــاديثَ ملفقــــــةً ليست بنبع إذا عُدّت ولا غـــرب
عجــــائبا زعمــوا الأيام مجفلـــــة عنهنّ في صفر الأصفار أو رجـــب
و خوفوا الناس من دهياء مظلمة إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
يا يوم وقعة "عمورية" انصــرفت عنك المنى حفّلا معسـولة الحلب

1.1.3.الاتّساق المعجمي:

هو مظهر من مظاهر التّماسك النّصي، يكون بين المفردات والألفاظ،يهتمّ بدراسة الوحدات اللّسانية وعلاقتها بغيرها في السّياق النّصي « وتكمن أهميّة الاتساق المعجمي أساسا في توحّد موضوع النّص، بالتّركيز الاتّصالي على موضوع واحد، وهي علاقة تجاور معلّلة أنطولوجيّا »[26] ويتحقق بوسيلتين هما:

1.1.1.3.التّكرار(récurrence) :

فالاتّساق النّصي يتحقّق بالتّكرار من خلال« إعادة لفظ أو عبارة، أو جملة أو فقرة ... لتحقيق ترابط عناصر النّص المتباعدة.»[27] وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النّص حتى آخره،« لذا فإنّ التّكرار هو ترجيع دلالي للعناصر المعجمية.» [(28)] إذ يساهم بشكل كبير في إضفاء البعد الحجاجي للنص الأدبي، « ويكسب اللّغة وظيفة إقناعيّة، ويضمن انسجام النّص وتوالده وتناميه.»[29] بالإضافة إلى وظيفته الشّعرية التّي وظفها أبو تمام أحسن توظيف، وأدرجها ضمن النسيج اللّغوي لقصيدته، بإعادة السّيف وهو أقوى سلاح في المعركة، بيض الصفائح، شهب الأرماح،كما يكرر يوم "عمورية"، فتح الفتوح، فتح تَفتَّحُ، أيام بدر، كما يوظف حقلا دلاليا واحدا للتعبير عن أقوال المنجمين وهو حقل الكذب ،" الشّك، الرّيب، الزخرف، تخرّصا، ملفقة، عجائبا، دهياء مظلمة، صيّروا، خوّفوا،و الكوكب الغربي ذو الذّنب" وغيرها من أقوال الخرافات.

غادرت فيها بهيم اللّيل وهو ضحى يشلّه وسطها صبح من اللّهـــب [30]
حتّى كأنَّ جلابيبَ الدُّجى رغبــت عن لونها أو كأنَّ الشّمس لَم تغب
ضوء من النَّاروالظّلماء عـاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشّمس طالعة من ذا وقد أفلت والشّمسُ واجبة من ذا ولم تجب

2.1.3.التّضام أو المصاحبة المعجمية (collocation):

يعد التّضام من وسائل التّماسك النّصي المعجمي، « وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك.»[31] ومن تلك العلاقات:

- **علاقة التّضاد:** كلّما كان حادّا كان أكثر قوة على الرّبط النّصي[32]، وأفاد الشّاعر من الجمع بين الأضداد، شكلت أساسا لديه في بناء النّص، بهيم اللّيل والضّحى وصبح من اللّهب والدّجى والشّمس، والضّوء والظّلماء،و ظلمة في ضحى، والشّمس طالعة وقد أفلت، والشّمس واجبة ولم تجب، فماذا يريد بهذه الأضداد؟ إنه الإحساس والخيال الذي يصنع منه الشّاعر هذه الصّور التي تتجاذبها الأضداد، لتعبر عن وقعة عمورية قبل الفتح وبعده.

المقابلة: بذكر الشيء ومقابله، مما يسمح بتمييز النّافع من الضّار، إذ بنظائرها تُعرف الأشياءُ، وهي القاعدة التي بنى عليها أبو تمام قصيدته، في عقد الموازنة بين أدوات القتال التّي تحقّق النّصر، ومزاعم المنجمين التي تثبّط الهمم ، كقوله :"بيض الصّفائح لا سود الصّحائف،/ شُهُب الأرماح لامعة لا في السّبعة الشّهب، ف"لا" النّافية ساهمت في اتّساق النّص بالرّبط بين الضّدّين، وهو من الأساليب التّعليميّة التّي يسعى المدرّس من خلالها إلى إبطال الاحتمالات الخاطئة، واستدراج التّلاميذ إلى الحقيقة المرجوة.

أين الرّوايةُ؟ بل أين النُّجُومُ؟ وما صاغوه فيها من زُخرُف ومن كذب

وإذا نظرنا إلى البيت الرابع في القصيدة، نلمح الأسلوب الإنشائي في صيغة الاستفهام، ليس الغرض منه السّؤال عن فراغ معرفي يسعى السّائل إلى ملئه، ولم يكن الغرض منه انتظار الجواب، فقوله: أين الرّواية؟ بل أين النّجوم؟ نستشعر منه غرض الاستنكار والاستفزاز، فهو سؤال تعجيزي لا يَتَطَلّب جوابًا، بل يحمل مجموعة من الافتراضات الضّمنية المتمثّلة في إعادة التّفكير في تصرّفات المنجّمين .

خليـفة الله جازى اللهُ سعـيك عن جرثومة الدّين والإسلام والحَسَب
إن كان بين صروف الدَّهر من رحم موصولة أو ذمام غير منقَضب
فبين أيّامـك اللّائي نُصـرتَ بهـــا وبين أيّام بدر أقـربُ النَّسـب

كما اقتبس ألفاظا من المعجم القرآني في الأبيات الأخيرة، لخدمة الفكرة العامة للنّصّ انطلاقا من المقام الذّي تشتغل عليه، وهو مقام المدح والذّم في المعركة القائمة بين الحقّ والباطل في قوله:" خليفة الله، جازى الله، سعيك، الدّين، الإسلام، الرّحم ، أيام بدر، النّسب"، بهذا القاموس اللّغوي يستطيع التلاميذ إثراء الرصيد اللغوي لديهم.

2.3. الاتّساق النّحوي:

ترابط الجمل فيما بينها، فتكوّن الخطاب أو النّص، متّسقا منسّجما بوسائل يكفلها النّظام النّحوي، ليحقّق التّماسك والانسجام في النّص، وبذلك فإنّ النّحو تحليل للعلاقات بين الكلمات، وروابطها ومعرفة مواقعها من الإعراب.

وإلى هذا أشار عبد القاهر الجرجاني في كثير من المواضع إلى الوسائل التّي تعمل التّرابط والتّماسك بين أجزاء الكلم، حيث تطرّق إلى العطف، وإلى الإحالة بالضّمير، وإلى الموصول والقطع والاستئناف، وغيرها من وسائل الاتّساق، فالكلام المبين في نظره يقوم على أن: « ينظر النّاظم في الجمل التّي تُسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثمّ يعرف في ما حقّه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثمّ)، وموضع (أو) من موضع (أم)، وموضع (لكن) من موضع (بل)، ويتصرّف في التّعريف والتّنكير والتّقديم والتّأخير في الكلام كلّه، وفي الحذف والتّكرار والإضمار والإظهار، فيصيب بكلّ ذلك مكانه، ويستعمله على الصّحة وعلى ما ينبغي له. »[33] ويحصل الرّبط بين جمل النّص ومقاطعه بجملة من الوسائل المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها، ومردّ هذا الاختلاف إلى تنوّع العلاقات الدّاخلية للنّص الواحد.

1.2.3.الإحالة:

إنّ المفهوم التقليدي لها هو تلك العلاقة الموجودة بين الأسماء ومسمياتها،[34] وتعني في اللّغة التّغير والتّحوّل، ونقل الشيء من حال إلى حال أخرى،أمّا مفهوم هذه الظّاهرة فقد حدّدها "جون ديبوا J.Dubois" بقوله: « فأمّا من الوجهة البلاغية فهي عبارة عن تكرار كلمة أو مجموعة من الكلمات في بداية ملفوظات متتابعة، وأمّا نحويا فهي ذلك المسار التّركيبي الذّي يعاد تكراره بواسطة مقطع أو ضمير أو كلمة.»[(35)] وتتفرّع الإحالة بالضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، إذ تقوم تلك الضّمائر مقام الأسماء غير أنّ لها محتوى دلالي أصغر[36]، وتعدّ الضّمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التّي يستعملها المتكلمون للإحالة.

والإحالة نوعان: داخلية وخارجية؛ (مقالية ومقامية)،

أما المقامية: باعتبار أن اللّغة تحيل دائما إلى أشياء وموجودات خارج النّص . كاسم"عمورية" الذي يحيل إلى المدينة أو مكان المعركة، وكذلك "أمير المؤمنين" و"خليفة الله" وهي بدورها إحالة خارجية للمعتصم، وهناك صيغة صرفية مشتركة بين الأبيات الرّابع والسّادس والسّابع والثّامن، صاغوه، زعموا، وخوّفوا، وصيّروا، على التوالي أُسند فيها ضمير الجماعة إلى الأفعال الماضية،و هي إحالة خارجية"مقامية" تحيل إلى المنجّمين، كل هذه الإحالات المقامية لها أثر بالغ في اتّساق النّص وانسجامه، تكمن حمولتها الدلالية في ربط النّص بالعالم الخارجي.

وأما الإحالة المقالية: لها دور كبير في اتّساق النّص على مستواه السّطحي، فالجمل وأشكال القول الأخرى يتماسك بعضها مع البعض الآخر دلاليا من خلال:

إحالة قبلية أو إحالة إلى السّابق(anaphora) وهي تعود إلى عنصر في النّص سبق التّلفظ به، وهي الأكثر شيوعا في الخطاب مثل الإحالة بضمير الغائب "الهاء" العائد على السّيف في البيت الأول فالضمير الهاء يحيل إلى كلمة سابقة، وضمير النّسوة في"متونهنّ" العائد على الصّحائف.

إحالة بعدية أو إحالة إلى اللاحق(cataphora) وهي تعود على عنصر لاحق في النّص، وهي قليلة الانتشار في النّص بالمقارنة مع الإحالة القبلية. ومن أمثلة الإحالة البعدية قول الشاعر: "و ما صاغوه من زخرف" أي الذّي زيّنوه من الكذب والتّلفيق.

2.2.2.3.الاستبدال:

وذلك أن يستبدل المتحدّث لفظا بلفظ آخر له المدلول نفسه، وهو ركيزة مهمّة في أي نصّ على المستوى اللّساني.[37] والاستبدال علاقة نصية سابقة، حيث يتم الرّبط بين العنصر المستبدل واستخدام العنصر البديل بعد ذلك، ومن أمثلته في القصيدة الشعرية استبدال الشّاعر يوم "عموريّة"، بفتح الفتوح، و"أمير المؤمنين"، بخليفة الله، مما زاد في تعلق أبيات القصيدة ببعضها.

أما الاستبدال النّحوي، فهو استعمال تركيب نحوي بدل تركيب آخر، ومثاله الآية الكريمة﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾ [البقرة 60]،فقد تم استبدال تركيب نحوي، وهو جملة جواب الطلب المحذوفة،" فضرب الحجر بعصاه " بتركيب نحوي آخر، "فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا " والعلاقة بين الجملتين علاقة سببية.

3.2.2.3.الحذف:

الحذف ظاهرة نصيّة تسهم في التحام عناصر النّص وارتباطها، «وقد يُحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لايوجد في غيره.»[38] وأطلق عليه دي بوجراند تسمية : الاكتفاء بالمبنى العدمي sustitution by zero [39] وهو كذلك ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل النّاطقون إلى حذف العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة حاليّة كانت أو عقليّة أو لفظيّة، وعلاقة الحذف قبلية تترك أثرا يسترشد به المستمع أو القارئ، وينقسم إلى عدة أنواع: حذف إسمي، وحذف فعلي، وحذف حرفي، أو حتى حذف جملة بأكملها، كجملة جواب الشّرط في البيت السّابع "إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب"، حيث دلّ عليها دليل.

4.2.2.3. الوصل:

تتحدّد خاصيّة الوصل في تحديد الكيفيات التي يتمّ بها ترابط أجزاء النّص اللاحقة بأجزائه السّابقة، ترابطا منطقيا اعتمادا على أبعادها الدّلالية، ووسائل الرّبط النّصي كثيرة

ومتنوّعة أهمها: ألفاظ التّعداد وأدوات الشّرح، والتّوضيح والتّمثيل، والرّبط العكسي والرّبط السّببي، وكلّها أدوات تساهم في تقوية العلاقات الجملية وتمتين الروابط النّصية، ومن جملة ما وظّف الشّاعر من أدوات الرّبط سنكتفي بمثال واحد عن كلّ نوع:

-الربط التماثلي: ويكون بين جملتين متماثلتين في الحكم، ويتم ذلك بتوظيف حرف الواو للجمع مطلقا كقوله: "تخرّصا وأحاديثا ملفّقة"، أو حرف العطف "أو"، كقوله: "في صفر الأصفار أو رجب"

-الربط العكسي: وأدواته كثيرة منها، لكن وبل، وهما حرفان للإضراب" أين الرواية؟ بل أين النجوم؟ وما صاغوه... .

-الخاتمة:

وبعد، فقد كان ذلك عرضا مقتضبا في الدّرس اللّغوي الحديث، الذي أصبح منهاجا يُقتدى به لأغراض تعليميّة، وتوعية لسانية لكلّ من يتعرّض للخطاب التّعليمي تفكيكا ونقدا، وإنشاء وأداء، من خلال استثمار لسانيات النّص وتحليل الخطاب، فلم تغفل المدرسة النّصية دور الطالب (المتلقي) في التّحليل النّصّي، وتوظيفه لأغلب أبواب النّحو العربي التّي تصلح أن تكون أنماطا تحليلية نصيّة، لا تقتصر على مرجعية الضّمائر والوصل والحذف والاتّساق المعجمي، بل حتّى عملية الإسناد والصّلة بين ركنيه، فهو ليس خاصّا بالرّبط بين عناصر الجملة، لكنّه يصلح أن يكون من قواعد التّحليل التّي تتناسب مع النّص العربي.

إنّ منهاج اللّغة العربية في الطّور الثّانوي، يُتوخى منه تحقيق جملة من الكفاءات والأهداف، نجملها فيما يلي:

- توظيف المعارف والضّوابط اللّغوية في مختلف السّياقات التّواصلية، والتّي تظهر من خلال سلوكه اللّغوي.

-القدرة على التّواصل مع الآخر، باستعمال أساليب التّعبير المكتسبة، وتوظيف تقنيات الحجاج للدفاع عن الرأي الشّخصي.

- أن يتعوّد التّلميذ إصدار أحكام على النّص الذّي يدرسه، ويبدي رأيه فيه موضوعيا.

- القدرة على التّمييز بين أنواع الخطاب انطلاقا من مقولات الأجناس الأدبية.

- التّعرف على تقنيات إنتاج النّصوص في تعبيره ومحاولاته الكتابية.

-استثمار المعارف اللغوية والبلاغية في وضعيتي التّلقي والإنتاج، لأنّ من سمات الأدب الإيحاء والتلميح في بعض المواقف الاجتماعية.

إنّ استثمار المباحث النّصية في تنظيم العمل التّربوي وعقلنته، يعبّد الطّريق لأساتذة اللّغة العربية وطلبتها في تحقيق مختلف الكفاءات التّواصلية، والثّقافية، والتّكنولوجية، والمنهجية، مما يؤهل الطّالب في التّعليم الثّانوي إلى الاندماج في محيطه الثّقافي والاجتماعي والاقتصادي.

مراجع البحث وإحالاته:

1 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظريه والتطبيق، ج1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000 ، ص23.

2 - سعيد بحيري، علم لغة النص، المكتبة الأنجلومصرية، ط1413،1هـ، 1993م، ص143.

3 - الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي،بيروت، لبنان، ط 1 ، 1993، ص 11.

4 - يوسف نور عوض،نظرية النقد الأدبي الحديث،دار اليمن للنشر والتوزيع،القاهرة، مصر،ط 1، 1994م، ص93

5-ابن منظور لسان العرب، مج 10، مادة(و س ق)، دار صادر، بيروت،لبنان، 1994، ص 310

6- ابن فارس، مقاييس اللغة،تح عبد السلام هارون، مجلد6،مادة وس ق، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،لبنان، (د.ط)، 1979، ص109.

7- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2005،4،ص1032.

8 - جمعان عبد الكريم، مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، مجلة علامات، ماي 2007، مج 16، ع 61، ص210.

9- روبرت دي بوجرند، النص والخطاب والإجراء، تر/ تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة،مصر، ط1998،1،ص301.

10- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص 5 .

11- محمد شاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مج1، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص124.

12 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص94.

13- سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج10، عدد1و2، 1991،ص145.

14- ينظر جورج يول، معرفة اللغة، تر/محمد فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دت، ص146

15- ينظر المرجع نفسه ص146.

16-عبد العزيز خلوفة والمختار السعيدي: ديداكتيك اللغة العربية والمقاربة بالكفاءات، بالسلك الثانوي، ط1، المغرب، 2015، ص 19.

17 -عابد بوهادي، أثر النحو في تماسك النص، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، مج40، ع2013،1،ص54.

18- أحمد سعدي، منهجية المقاربة النّصية في تعليمية اللّغة العربية- مرحلة ما قبل الجامعة- مجلة اللّغة والاتصال، جامعة وهران، العدد6، 2010، ص46.

19- ليلى سهيل، المهارات اللّغوية ودورها في العمليّة التّعليميّة، مجلة العلوم الإنسانيّة، العدد29، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر فيفري 2013، ص241.

20- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ص ص)،ص271، -الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة نصصّ، ص309.

21 - محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية،منشورات الاختلاف،الطبعة الأولى،2010،ص133.

22 - يُنظر، صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2013،1،ص173.

23-نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط1981،6، ص263.

24- عبد الرحمان طنكول، خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم،مجلة كلية الآداب، بفاس، المغرب، العدد 1989،9 ص35.

25 - بوبكر الصادق سعد الله ومصطفى هواري، الجديد في الآداب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الثانية من التعليم الثانوي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2016/2015، ص10.

26 - كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص،مدخل إلى المفاهيم الأساسية،تر سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،ط2010،2،ص 70 وما بعدها.

27 -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، ط1، 2000، ج2/ ص20.

28- تياز محسن عبد العزيز، الربط وأثره في تماسك النص، رسالة ماجستير، كلية اللغات،جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق،2010، ص 52.

29 - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت ،لبنان، ط2010،1، ص47.

30 - صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص193.

31 - محمد خطابي، لسانيات النص ، مرجع سابق، ص 25.

32 - أحمد عفيفي، نحو النّص- اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، 2001، ص145.

33- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ص82.

34 - إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، مرجع سابق ص 40.

35- Dubois et autres, Dictionnaire de Linguistique et des science du Langue, la rousse,1994,p 36.

36- مصطفى السعدني، المدخل إلى بلاغة النص، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1994، ص97.

37- ينظر: فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا، تح: سامح الرواشدة جامعة مؤتة، الأردن، ط1، 2005، ص90.

38 - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص208.

39 - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، مرجع سابق، ص340.